الاسطول البريطاني ونصيب انكلترا من الحرب

اوردنا في مقتطف دسمبر الماضي قول الجنرال جوفر وهو « ان الضربة القاضية في هذه الحرب تكون في البرّ لا في البحر» ولكن ذلك لا يحط من قيمة الاسطول البريطاني ولا يجعلهُ نصيبهُ من العمل العظيم الذي قام بهِ في هذه الحرب . ولقد اصاب الالمان في قولهم ان انكلترا هي عماد الحلفاء ولولاها لبلغوا وطرهم من فرنسا وروسيا وايطاليا . والانكليز يذكرون ذلك ويفتخرون بهِ ويقولون ان مساعدتهم لحلفائهم مكّنت الحلفاء من مواصلة الحرب الى الآن . وقد اورد بعضهم على ذلك الادلة الثالية في مجلة الندن الانكليزية قال

اذا نظرنا الى فرنسا وجدنا انهُ لولا الاسطول البريطاني لبقيت مرافئها كلها في بحر المانش والجهات الغربية عرضة لغزو الالمان ولدخلت الجيوش الالمانية من هناك والتفّت على الجيش الفرنسوي لما ارتدّ نحو باريس فاحاطت بهِ . ولولا الاسطول البريطاني لما امكن نقل القمح من انكلترا الى فرنسا لتشغيل معامل الذخيرة فيها ولا نقل الفولاذ (الصلب) اليها بعدما استولى الالمان على مقاطعاتها الشمالية التي فيها ثلاثة اخماس مناجم الفحم والحديد الفرنسوية . ولولا الاسطول البريطاني لتعذر نقل الجنود الى فرنسا من المستعمرات الفرنسوية ولتعذّر ايضاً نقل مواد الطعام اليها من كل الاقطار لاطعام رجالها الذين انقطعوا للحرب وعمل الذخيرة . فلولا مساعدتها البحرية لها لما اغنت عنها شجاعة جنودها شيئاً مع عظمتها . فساعدتنا قوّتها على مقابلة خصمها ومناجزتهِ ووقوفها في وجههِ كسد من حديد

واذا نظرنا الى روسيا رأينا انهُ لولا اسطولنا لتعذر ايصال الاسلحة والذخيرة اليها من الخارج . ولو لم تدخل انكلترا في هذه الحرب لما دخلت اليابان ايضاً ولما استطاعت روسيا ان تنال منها ما نالتهُ من المساعدة المادية فان اليابان اصبحت معملاً كبيراً لعمل الاسلحة والذخائر لروسيا . ولولا ما لقيت روسيا من المساعدة الآتية من انكلترا لما استطاعت ان تقوم بالنفقات الحربية التي طُلبت منها

واذا نظرنا الى ايطاليا رأينا ان وجود الاسطول البريطاني مكّن الاسطول الفرنسوي من البقاء في بحر الروم فحمت سواحل ايطاليا وزد على ذلك ان انكلترا بعثت الى ايطاليا بما تحتاج اليهِ من القمح لاسطولها ومعاملها ومكّنتها من الحصول على كثير من المواد الاصلية اللازمة لصناعتها

والاسطول البريطاني هو الذي مكّن الحلفاء من التعاون ولولا هذا التعاون لاستحال عليهم الفوز وحقّ عليهم الانكسار . فانهُ لما اضطرت روسيا ان ترتد القهقرى امام جنود مكنسن دخلت ايطاليا الحرب فاضطرت الجنود النمسوية ان تعود اليها تخفّف الضغط عن روسيا . ومهما قيل عن عدم فوز الجنود البريطانية في غليبولي فان وجودها هناك حوّل نحو نصف مليون من الجنود التركية عن مقاومة روسيا في القوقاس ولم يكن في الامكان ارسال الجنود البريطانية الى غاليبولي لولا الاسطول البريطاني

ولا ينحصر نفع الاسطول البريطاني في الفوائد المادية التي نالها الحلفاء منهُ بل يتناول الفوائد الادبية فان الحلفاء وثقوا انهُ ما دامت انكلترا قابضة على عنان البحار فلا سبيل لالمانيا ان تفوز عليهم لان انكلترا لا تنفك عن الحرب او تحرز النصر على جاري عادتها في كل حروبها . وقد اتضح الآن ان الالمان يئسوا من الفوز على انكلترا وحصروا همهم في الفوز على حلفائها ويجمل القول ان انتظام انكلترا في صفوف الحلفاء قلب كفة الميزان وجعل النصر من نصيبهم بعد ان كان من نصيب اعدائهم

ويلخص فعال الاسطول البريطاني بانهُ الزم الاسطول الالماني على البقاء في مرافئهِ مختبئاً فيها ولم يخرج مرةً منها الاّ حاربهُ الاسطول البريطاني وقهرهُ . ولم تلتقِ السفن البريطانية الحربية بالسفن الالمانية الحربية في معركة الاّ دارت فيها الدائرة على السفن الالمانية ما خلا معركة واحدة تغلّبت فيها السفن الالمانية بقيادة الاميرال صبي على السفن البريطانية ولكن الاميرال ستردي تعقب الاميرال صبي الى ان التقى بهِ في معركة فوكلند وقضى عليهِ . وقد تمكن الانكليز من القضاء على كل السفن الحربية الالمانية التي كانت في عرض البحر ولم يبقوا على واحدة منها فاطلقوا العنان لعشرة آلاف سفينة من سفنهم التجارية تجول في بحار المسكونة ذهاباً وياباً لنقل الجنود والمتاجر رغماً عن وجود الغواصات والالغام وهي تنقل البضائع بين بلدان الحلفاء وبلدان الدول المحايدة وتجلب الى بلدان الحلفاء الطعام والقطن والصوف والبترول

ولا يقلّ الرجال الذين في خدمة سفننا الحربية والتجارية الآن عن مليون وسبعمائة الف نفس ٣٥٠٠٠٠ منهم في السفن الحربية و ٣٠٠٠٠٠ في السفن التجارية والباقون في المعامل التي تبني السفن ويعملون في المرافئ والاحواض . وقد رأى الالمان ذلك فاقتنعوا ان قوتنا البحرية لا تقهر وان البحار ستبقى مفتوحة امامنا مسدودة امامهم . فلم يبقَ لهم

تجارة بحرية . وما حاولوهُ اخيراً من ارسال القليل من بضائعهم بغواصة الى اميركا لم يقصدوا بهِ الربح التجاري بل انعاش نفوسهم بالاوهام لان نفقة نقل البضائع بالغواصات تزيد على ربحها والتجارة للربح لا للباهاة

وقد تمكنا بواسطة اسطولنا من القضاء على المستعمرات الالمانية وانتزاعها فلم تبقَ لمانيا دولة بحرية بل عادت كما ارادها بسمارك دولة برية لا غير ولكنها تجاوزت ما ارادهُ لها لانها اضرمت نار الحرب في الشرق والغرب والشمال والجنوب في وقت واحد

وبفضل قوتنا البحرية تمكنا من مقابلة خصومنا في سبعة ميادين متراسية في وقت واحد في فرنسا وانر يقية والكرون والدردنيل وشرق مصر وغربها والعراق

وقد حاول الالمان ان يضعفوا قوتنا البحرية فكانت النتيجة ان خسروا عشر بوارجهم التي من نوع الدردنوط ولم نخسر نحن بارجة من بوارجنا التي من هذا النوع . وقد بنينا في مدة الحرب من هذه البوارج الجديدة ثلاثة اضعاف ما بنوا هم على الاقل . وخسروا من طرادات القتال اكثر من نصف ما كان عندهم واما نحن فخسارتنا من هذه الطرادات لا تزيد على نصف خسارتهم منها . وخسروا من الطرادات الخفيفة نصف ما كان عندهم واما نحن فخسرنا خمس ما كان عندنا منها . وقد خسرنا من البوارج القديمة ثلاثة اضعاف ما خسروا هم ولكن هذه البوارج قلما يعتدُّ بها في حروب هذه الايام والباقي عندنا منها كثير جداً اكثر مما عندهم منها

والنتيجة اللازمة عن تسلطنا على البحار انهُ مهما كانت نتيجة الحرب البرية فخصمنا لا يستطيع ان ينتزع تجارتهُ البحرية الاَّ برضانا

وزد على ذلك كلهِ اننا تمكنا بواسطة اسطولنا من نقل ٣٥٠٠٠٠٠٠ من الجنود والمرضات الى ميادين القتال . وبعد ان كان جيشنا كلهُ لا يزيد على ٧٠٠٠٠٠ صار الآن بين خمسة ملايين وستة ملايين والذين ارسلناهم الى فرنسا منهُ قهروا نصف الجيش الالماني المحارب فيها . ومليون من هذه الخمسة الملايين او الستة جاء من الاقطار الشاسعة من كندا واستراليا وزيلندا الجديدة وجنوب افريقية وبلاد الهند جاؤوا والاسطول يحميهم . وقد كانت المانيا تمني نفسها انهُ حالما ينفخ في بوق الحرب تمزق اوصال الامبراطورية البريطانية شهاطيط فكانت النتيجة ان أُحكمت عراها احكاماً لا مثيل لهُ وصارت كلها جزءاً واحداً لا يتجزأ والذي يحارب الآن ليس جزر بريطانيا بل الامبراطورية البريطانية كلها

وكتب آخر في مجلة اليمز اند الانكليزية يقول: — انشأت المانيا ترعة كيال لتكون مخرجاً لاسطولها فيخرج الى البحر الشمالي اذا اراد مناجزة الاسطول البريطاني ويعود الى بحر البلطيك اذا انكفأ عنهُ واراد مناجزة الاسطول الروسي. فكان جواب الاميرال فشر لهُ ان بنى اول بارجة من نوع الدردنوط وهي اكبر من ان تحتمل تلك الترعة مرورها فاذا ارادت المانيا ان يناجز اسطولها الاسطول البريطاني فلا بد لها من ان تبني بوارج مثلها بعدادها الضخمة والاَّ لم تستطع الوقوف امام الاسطول البريطاني. فلم تر لها بدًّا من ان تعيد الكرة على ترعة كيال وتوسعها وتعمقها وتبني بوارج كبيرة من نوع الدردنوط ففعلت وانفقت على توسيع الترعة وتعميقها ١٢٠٠٠٠٠٠٠ من الجنيهات. ووسعت دور الصنعة التي تبني فيها بوارجها واخذت تحذو حذو انكلترا وتنقل الرسوم عنها واقرَّ مجلس النوَّاب الالماني سنة ١٩٠٠ على انفاق ٢٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه لبناء البوارج الحربية ولحقاتها

وكانت تعاليم تزتشكي قد رسخت في عقول الالمان ان بريطانيا شاخت وصارت على شفا الاضمحلال وانهُ لا بدَّ لالمانيا من ان ترثها في سيادة البحار لكنهم رأوا بعد معركة جوتلند الاخيرة ان امانيهم لا يمكن ان تتحقق وانهُ ليس من الحكمة أن يقابل اسطولهم الاسطول البريطاني في عرض البحر ويناجزهُ او كما قال الاميرال فون كوستر «ان هذه المناجزة لا بدَّ من ان تنتهي الى امر من امرين اما الفوز وامّا الموت والاسطول الذي يقضى عليهِ لا يمكن ارجاعهُ ولا جلب اسطول آخر بدلاً منهُ ولذلك يجب ان نأخذ باطراف الحكمة ولا نغرى بمحاربة الاسطول البريطاني في عرض البحر محاربة يُرجَّح فوزهُ فيها علينا»

وقد تحقق ثقات الالمان ان الاسطول البريطاني صار الآن اقوى جدًّا ممَّا كان قبل نشوب الحرب لان البوارج التي بنيت حديثاً اكثر واقوى بما لا يقدَّر من البوارج التي فقدها. بل ان الزيادة فيهِ تفوق كل الاسطول الالماني والغواصات وهي اهم سلاح تسلح بهِ الالمان لمحاربة الاسطول البريطاني لم تحدث وجههُ او كما قال الوزير بيشون الفرنسوي «ان من يظن ان غواصات الالمان التي هلك منها مئة في العشرين شهراً الماضية تستطيع ان تضرَّ بقوة انكلترا البحرية ضرراً يذكر فهو في ضلال مبين»

اما ضرر الاسطول البريطاني بالمانيا فيفوق الحصر فقد قال الاستاذ جرهردشوت مدير مرصد همبرج البحري «انا نشعر بسلطة بريطانيا على البحار في كل منا»

وقال المر البرت بلين اكبر اصحاب السفن في الامبراطورية الالمانية «ان البحار تكون حرة مفتوحة لكل احد في زمن السلم اما في زمن الحرب فزمامها في يد الاسطول الاقوى»

ولا يخفى ان مدينة همبرج اعظم موانئ المانيا التجارية وكان يدخلها في السنة اكثر من ٩٠٠٠ سفينة تجارية وقد بلغت قيمة البضائع الصادرة منها والواردة اليها ٧٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه اما الآن فلا يدخلها شيء ولا يخرج منها شيء وقد وقف دولاب التجارة فيها تماماً ونفس عليها سائر الموانئ البحرية

وكانت قيمة الصادرات من المانيا ١٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩١٣ وقيمة الواردات اليها ٥٦٠٠٠٠٠٠٠ جنيه وكانت ترسل الى اسواق المكونغو ربع ما يباع فيها من الحديد واربعة اخماس ما تحتاج اليه من المواد الكيماوية . وكان يباع في سوق الفراء في مدينة ليبسك ما ثمنهُ ٥٠٠٠٠٠٠٠ جنيه في السنة فاين كل متاجر المانيا الآن قضت عليها مكيدة التجار باسطولها . وكان بعض عقلاء الالمان يوجسون من ذلك قبل الحرب . قال الهر بوسهل اكبر تجار لوبك « اني واثق ان ضغط بريطانيا على تجارتنا البحرية يضطرنا الى ان نحني ركب الخضوع لها اكثر من كل حرب برية » وقال فردرك لست « ان البحر معرض الامم والميدان الذي تتبارى فيهِ جياد الهمم والأُمَّة التي تُمنَع عنهُ ليس لها نصيب من خيرات العالم وامجاده »

وقد أعترف الحلفاء لبريطانيا بفضل اسطولها عليهم قال الوزير بيشون « ان الحوادث قد اثبتت انهُ لو حُصرت الحرب بين فرنسا وروسيا من جهة والمانيا وحلفائها من أُخرى لكان الفوز للالمان فلا نخدعنَّ انفسنا لان هذا هو الحق الصراح فلولا الاسطول البريطاني لكانت موانينا تحت رحمة العدو ولانقطعت مواصلاتنا . واذا كانت المانيا تنظر الآن الى بريطانيا كالد اعدائها فذلك لانها هي السبب الاكبر لافلاسها القريب » ثم استشهد بقول كاتور السياسي الايطالي حيث قال « كل من كانت انكلترا معهُ فهو الفائز حتماً »

وقد قابل احد الكاتب بين قوة الاساطيل القديمة والاساطيل الحديثة فقال ان اول بارجة مسرعة بناها الانكليز واسمها رويور بلغت نفقات بنائها ٣٥٠٠٠٠ جنيه ولكن المدرنوط ورسبيت التي احتملت اكثر شدة القتال في معركة جوتلند بلغت نفقات بنائها ٢٥٠٠٠٠ جنيه . وقد كان في السفينة فكتوري التي كان فيها الاميرال نلسن في معركة الطرف الاغر ٨٥ مدفعاً فلو اطلقت تلك المدافع كلها دفعةً واحدة ورتبت قنابلها على مكان واحد ما اثرت فيهِ نصف ما تؤثرهُ فيهِ قنبلة واحدة من قنابل مدفع من مدافع ورسبيط التي قطرها ١٥ بوصة

هذا من حيث فعل الاسطول البريطاني . اما معامل بريطانيا التي تصنع الاسلحة والذخائر لها ولحلفائها فيكفي لوصفها ان نقول ان ما كان الانكليز يصنعونهُ في سنة قبل الحرب من القنابل الكبيرة يصنعونهُ الآن في اربعة ايام وما كانوا يصنعونهُ في سنة من القنابل المتوسطة يصنعونهُ الآن في ١١ يوماً . وما كانوا يصنعونهُ في سنة من مدافع الميدان يصنعونهُ الآن في ١٤ يوماً . وما كانوا يصنعونهُ في سنة من المدافع الصغيرة يصنعونهُ الآن في ٢٠ يوماً . ويصنعون الآن في شهر من المدافع الكبيرة مضاعف ما كان منها في كل حصونهم ومع كل جنودهم البرية . ويصنعون في اسبوعين او ثلاثة من البنادق الآلية قدر ما كان في كل مخازنهم قبل الحرب . ويصنعون من المتفجرات الشديدة كل اسبوع ١٢٠٠٠ ضعف ما كانوا يصنعونهُ في بداءة الحرب . وقد بلغ عدد معامل الذخيرة عندهم الآن ٩٥ وكان في بداءة الحرب ٣ فقط

ويبلغ الآن متوسط نفقاتهم اليومية ٧١٠٠٠٠٥ جنيه او نحو خمسة ملايين وثلاثة ارباع ويبلغ مجموع الاموال التي انفقت في السنة الاخيرة ١٩٥٠ مليون جنيه (او نحو ثمانية اعشار دخل الامة الانكليزية في السنة وهو ٢٦٠٠ مليون جنيه) فزادت ٣٥٠ مليون جنيه عما قدر لها . ومعظم الزيادة نشأ عن زيادة الذخيرة والقروض لحلفاء والمستعمرات . وقد بلغت الاموال التي اقرضتها لحلفائها ومستعمراتها ٨٠٠ مليون جنيه . وسيبلغ مجموع دين الحكومة الانكليزية في آخر السنة الجارية الحاضرة نحو ٣٥٠٠ مليون جنيه او نحو اربعة اضعاف ما كان قبل الحرب ولكن اذا طرحنا منهُ ما اقرضتهُ لحلفائها ومستعمراتها بقي منهُ ٢٧٠٠ مليون جنيه وهو دين باهظ جداً ولكنهُ لا يزيد على دخل الامة في سنة

هذا وقد جاءت الاخبار البرقية عند كتابة هذه السطور ان امبراطور المانيا عرض الصلح على الحلفاء على ان تعود الامور الى ما كانت عليهِ قبل الحرب ما عدا بولونيا فان اقسامها تضمُّ بعضها الى بعض وتعود مملكة مستقلة . ولم ترد التفاصيل المتعلقة بذلك ولكننا نرجح ان الحلفاء لا يوافقون على صلح تبقى فيهِ المانيا في درجة من القوة تهدد السلام حتى يضطروا دائماً الى انفاق النفقات الحربية الباهظة على جنودهم واساطيلهم . فيبعد عن الظن ان يقبلوا بصلح يكون شبيهاً بالحرب الدائمة من حيث كثرة النفقات الحربية خوفاً من حرب مقبلة لاسيما وانهم يحسبون انهم سيفوزون على المانيا اخيراً ويضطرونها الى قبول الشروط التي يفرضونها عليها